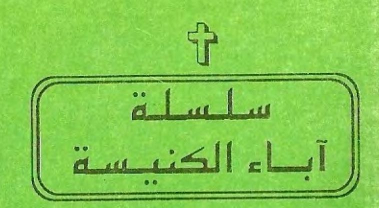
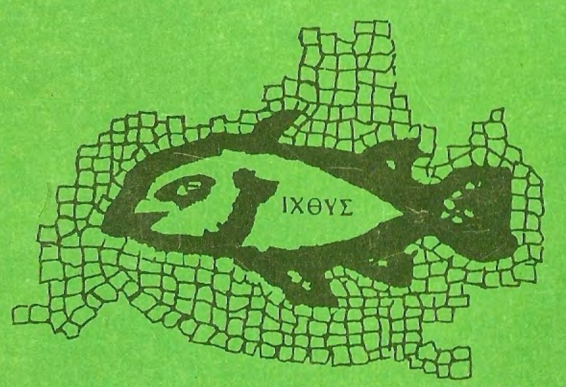
اليوبيل الماسى للكلية الاكليريكية



القديس إيريناؤس

(أسقف ليون)



أبو التقليد الكنسى

✝

علم الباترولوچى

سلسلة آباء الكنيسة

القديس إيريناؤس

(أسقف ليون)

IRENAEUS OF LYONS

ترجمة وإعداد

أنطون فهمى چورج



البابا شنودة الثالث

مقدمة

إن الدراسات الابائية لازمة للكنيسة الشرقية بنوع خاص ، لأنها كنيسة تقليدية متجذرة فى الاصول التاريخية والاعماق اللاهوتية والايمانية ، فالحاضر يزداد خصوبة بالعمق الآبائى ، وكتابات الآباء المعلمين تتحقق قيمتها وديناميتها بإستخدامها فى الحياة الروحية العملية .

لذلك النهضة التعليمية التى يقودها معلم هذا الجيل البابا شنودة الثالث ، العالم والعلامة اللاهوتى إنما هى مجد كنيسة الاسكندرية ، ويأتى الاهتمام الواضح بالدراسات الآبائية كعلامة صحية فى التمسك بروح الاباء المعلمين ، خلال نشر أقوالهم وسيرهم على المستوى الشعبى والقيادى ، حتى يستنشق الكل عبير الكنيسة الأولى فى أصالة الحياة والفكر .

وبين يديك أيها الحبيب سيرة أحد معلمى القرن الثانى المسيحى ، الذين سجلوا ما سمعوه عن شهود عيان (الرسل وتلاميذهم) ، فقدم بذلك خبرة تلمذة لأعمال عظيمة وتعاليم معاينة نفيسة ، وستلمس خلال هذه السيرة المباركة التى للقديس

ايريناؤس أسقف ليون وأبو التقليد الكنسى ، كيف امتصت الكنيسة التقاليد الصادقة فى عمق وبساطة ، عمق الفهم والفكر ، وبساطة النفس والممارسة .

إنها لحظات ثمينة من تاريخ الكنيسة الذهبى مملوءة بالالهام الروحى ، وتباشير الاخصاب الفكرى المستنير ، نتمتع فيها ببركة القديس ايريناؤس الذى يمثل رصانة الاسقفية ووقارها ، وحلاوة التعليم والسيرة الرسولية .

وإننى أضع هذه الدراسة التى اعتمدت فيها بالأكثر على مجموعة *Patrology, vol. I* لمؤلفها جونز كواستن *Johannes Quasten* بين يدى المسيح إلهنا الذى أحبنا وستر خطايانا وفدانا ، لتكون سبب بركة ومعرفة روحية لكل من يقرأها ، بصلوات رئيس الاباء بطريركنا المحبوب البابا الأنبا شنودة الثالث، وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم الأنبا بنيامين النائب البابوى لمدينة الاسكندرية ، وللثالوث القدوس السجود والمجد والكرامة الى الابد آمين ،

الصوم الكبير
١٩٩٢م - ١٧٠٨ش

القديس إيريناؤس

يُعد القديس ايريناؤس أهم لاهوتى القرن الثانى ، وتاريخ ميلاده بالتحديد غير معروف ، لكنه فى الغالب ما بين عام ١٤٠ وعام ١٦٠م ، وقد وُلد فى سميرنا (أزمير) فى أسيا الصغرى ، إذ أنه يخبرنا فى رسالته الى الكاهن الرومانى فلورينوس *Florinus* انه استمع فى شبابه المبكر الى عظات القديس بوليكاربوس اسقف سميرنا ، وتكشف هذه الرسالة عن معرفة دقيقة ببوليكاربوس لا يمكن ان تكون الا نتيجة لعشرة ومعرفة شخصية :

«لأنى عندما كنت صبياً ، كنتُ أعرفك (يا فلورينوس) فى أسيا الصغرى فى منزل بوليكاربوس ، عندما كنتَ رجلاً ذا مكانة فى البلاط الملكى ، وكنت تسعى لكى تكون لك علاقة قوية معه (أى مع بوليكاربوس) ، انى أتذكر أحداث هذه الايام بوضوح أكثر من تلك التى حدثت قريباً ، لأن ما نتعلمه فى طفولتنا ينمو مع النفس ويتحد بها ، لذا استطيع أن أصف حتى المكان الذى كان المبارك بوليكاربوس يجلس فيه وهو يعظ ،

وطريقة دخوله وخروجه ، واسلوب حياته ، وهيئته الجسمانية ، وعظاته للشعب ، والوصف الذى قدمه عن عشرته مع يوحنا والآخرين الذين رأوا الرب ، وكيف أنه كان يتذكر كلماتهم وما سمعه منهم عن الرب ، ومعجزاتهم وتعاليمهم ، وكيف أن بوليكاربوس استلمها من شهود عاينوا ورأوا كلمة الحياة ، وروى كل شئ بما يتفق مع الاسفار المقدسة ، وقد اصغيت بشغف لهذه الامور برحمة الله التى وُهبت لى ، وسجلتها ، لا على ورق ، بل فى قلبى ، وصرت أتأمل وأتفكر فيها وأرددها بنعمة الله» . (١)

من الواضح من هذه الكلمات أن ايريناؤس اتصل بالعصر الرسولى من خلال معلمه بوليكاربوس ، ولأسباب غير معروفة ترك ايريناؤس أسيا الصغرى وذهب الى بلاد الغال (فرنسا) ، وسيم كاهناً على كنيسة ليون ، وفى عام ١٧٧م أرسل الى البابا الڤثيروس *Eleutherus* فى روما من قبل كنيسة ليون ليتوسط لديه ويراجعه فى موضوع المونتانية *Montanism* ، التى كان يحتضن اتباعها .

وقد حمل رسالة الى البابا تقول :

«لقد طلبنا الى أخينا ورفيقنا إيريناؤس أن يقدم هذه الرسالة لكم ونرجو منكم اكرامه وتوقيره لأنه غيور على عهد المسيح ، ولو علمنا ان الرتبة يمكن أن تضفى صلاحاً على أحد لكنا أول كل شئ فوضناه ككاهن لهذه الكنيسة (أى ليون) لأن هذه هى وظيفته فعلاً» . (٢)

وعندما عاد إيريناؤس من روما كان بوثينوس *Photinus* الاسقف الشيخ قد نال اكليل الشهادة وهو فى التسعين من عمره ، فصار ايريناؤس خليفته فى الاسقفية ، وفيما بعد عندما اختلف ڤيكتور (٣) اسقف روما مع الاساقفة الاسيويين فى أمر عيد الفصح ، كتب ايريناؤس الى عدد من هؤلاء الاساقفة ، وإلى ڤيكتور نفسه يحثهم ويرجوهم ان يحفظوا السلام والمحبة ، لذلك قال يوسابيوس (٤) ان ايريناؤس عاش كما يليق بإسمه لأنه أثبت أنه صانع سلام حقيقى كما هو تفسير اسمه Εἰρηνοποιόσ ، وبعد ذلك لا نعلم أى شئ عن ايريناؤس وحتى تاريخ نياحته غير معروف ، ولكن چيروم (٥) يخبرنا انه «عاش وظل يكتب حتى عهد الامبراطور كومودوس الذى خلف

الامبراطور مرقس انطونيوس فيروس على العرش وفى القوة»

وتُعد شهادة غريغوريوس اسقف تورز القائلة [١] أن ايريناؤس نال اكليل الشهادة موضع شك ، لأنها جاءت متأخرة ، ويوسابيوس لم يشر قط الى مثل هذا الاستشهاد .

كتابات ايريناؤس

بالاضافة الى تدبير شئون وخدمات إيبارشيته ، كرس ايريناؤس نفسه للعمل على دحض البدع الغنوصية عن طريق كتاباته ورسائله ، وفى هذه الاعمال قدم تفنيداً رائعاً وتحليلاً نقدياً لأفكار الغنوصيين وعقائدهم ، وكانت معرفته التامة بالتقليد الكنسى ، والتى هى نتيجة تلمذته لبوليكاربوس ولتلاميذ آخرين للرسل ، عوناً كبيراً له فى جهاده ضد هذه البدعة ، وقد فُقدت كتاباته فى زمن مبكر ، ولا يوجد الا اثنين من أعماله الكثيرة التى كتبها باللغة اليونانية ، واحد هذين العملين ـ وهو أهم أعماله ـ أصله اليونانى مفقود ولم يصل الينا الا فى ترجمة لاتينية حرفية اختلف الدارسون فى تاريخها .

وتعتبر كتاباته من أقوى ما كُتب فى تراث الكنيسة الاولى ، شاهدة على اخلاصه الشديد لتعليم الكنيسة ولتوجيهات الرسل ، كطبيب حاذق يعالج الهرطقات التى ظهرت فى عصره ، باعتبارها أوراماً خبيثة أصابت العقل البشرى ، واصفاً خطورتها وطرق الوقاية منها ومقاومتها .

١) ضد الهرطقات

والإسم الأصلى لهذا العمل هو :

Ἔλεγχοσ Καὶ Ἀνατροπὴ Τῆσ Ψευδονόμου Γνώσεωσ

Detection and Overthrow of the Pretended but False Gnosis.

أى "كشف الغنوصية المزعومة الكاذبة ودحضها" ويُعرف بالإسم اللاتينى *"Adversus Haereses"* أى "ضد الهرطقات" ، وهو يتكون من خمسة كتب ، وكما يوضح العنوان الاصلى ، ينقسم العمل الى قسمين :

القسم الأول : يتناول كشف ووصف البدعة الغنوصية ، ورغم ان هذا القسم محصور فى الكتاب الأول فقط ، إلا أنه عظيم الأهمية لمعرفة تاريخ الغنوصية ، ويبدأ ايريناؤس بوصف تفصيلى لعقيدة الفالنتينيين *Valentinians* يتخلله ردود عليهم ، وبعد ذلك يتحدث عن نشأة الغنوصية ، فيذكر بطرس ماغوس *Simon Magus* و ميناندور *Menandor* ، ثم يذكر القادة الآخرين للمدارس والطوائف الاخرى بالترتيب التالى :

ساتورنيل	*Satornil*
باسيليدس	*Basilides*
كاربوكراتس	*Carpocrates*
سيرينثس	*Cerinthus*
الإبيونيون	*The Ebionits*
نيكوليتس	*The Nicolaites*
سيردون	*Cerdon*
مرقيون	*Marcion*
تاتيان	*Tatian*
الإنكراتيون	*The Encratites*

وأكد بعد ذلك انه لم يذكر جميع أسماء هؤلاء الذين تركوا الحق بطريقة أو بأخرى .

القسم الثانى : يتكون القسم الثانى من هذا المؤلف وهو "الدحض" من أربعة كتب هى :

الكتاب الثانى : يفند بدعة الفالنتينيين وأتباع مرقيون بالاحتكام الى العقل .

الكتاب الثالث : بالإحتكام الى عقيدة الكنيسة فى الله والسيد المسيح .

الكتاب الرابع : بالإحتكام الى أقوال الرب .

الكتاب الخامس : أفرده ايريناؤس لشرح قيامة الجسد التى انكرها جميع الغنوصيين .

ومن مقدمة الكتاب الثالث ، نعرف أن ايريناؤس ارسل الكتابين الاول والثانى الى الصديق الذى كتبهما بناء على طلبه ، ثم كتب الكتب الثلاثة الاخيرة فيما بعد ، ولكن يبدو أن المؤلف بأكمله كان فى فكر ايريناؤس من البداية ، لأنه يشير فى الكتاب الثالث الى حديثه عن الرسول بولس والذى لم يكتبه إلا فى الكتاب الخامس .

وقد عرف إيريناؤس كيف يقدم وصفاً بسيطاً واضحاً مُقنعاً لعقيدة الكنيسة ، لذا يظل عمله هذا أهم مصدر لمعرفة المنهج الغنوصى ومنهج الكنيسة الاولى ، ويخبر ايريناؤس القارئ فى مقدمة الكتاب الاول ان لا يتوقع منه «أى إستعراض للبلاغة التى لم يمارسها قط» بل يتقبل منه بروح طيبة ما كتبه هو (أى ايريناؤس) بنفس الروح ، ببساطة ، بصدق ، وبطريقة وعظية . [١]

وفى وصفه للتعليم والفكر الغنوصى ، يعتمد ايريناؤس على قراءته الشاملة للكتابات الغنوصية ، وإستعان ايضاً بكتابات سابقيه من الآباء الذين قاوموا الهرطقات ، بيد انه من الصعب تحديد هذه المصادر لأن معظمها فُقد ، ومع أن ايريناؤس يذكر بعض هذه المصادر بالإسم مثل :

أقوال بابياس اسقف هيروبوليس

The Sayings of Papias of Hieropolis

أقوال شيوخ اسيا الصغرى

The Sayings of The Elders of Asia Minor

وكتاب يوستين الشهيد "ضد مرقيون" *Against Marcion* إلا أنه من المستحيل تحديد مقدار اعتماده عليها إذ أن هذه الاعمال قد فُقدت جميعها ، وبحسب *F. Loofs* كانت كتابات ثيوفيلس الانطاكى من المصادر الرئيسية لإيريناؤس ، بيد أن كتابى ثيوفيلس ضد الغنوصية :

ضد هيرموجينيس *Against Hermogenes*

ضد مرقيون *Against Marcion*

قد فُقدا ، وكل ما لدينا هو عنوانيهما الذين حفظهما لنا يوسابيوس ، ومع أن حديث ثيوفيلس الانطاكى الى اوتوليكس *Autolycus* لا يزال موجوداً حتى الآن ، الا ان المقارنة بينه وبين كتابات ايريناؤس ، ونقاط الاتفاق بينهما ليس دليلاً كافياً على أن ايريناؤس قد إستعان بهذا الكتاب ، وايضاً ليس مؤكداً أن كتاب ثيوفيلس الانطاكى ضد مرقيون ظل موجوداً حتى وقت كتابة ايريناؤس لكتابه "ضد الهرطقات" .

[illegible] تاريخ النص

[illegible] النسخة اللاتينية التى تحتوى على النص بأكمله محفوظة فى [illegible] المخطوطات ، ويرى چوردان *H. Jordan* وسوتر [illegible] ان هذه الترجمة تمت فى شمال افريقيا فى الفترة ما بين [illegible] وعام ٤٢٠م ، ويرى كوتش *H. Koch* ان تاريخها [illegible] يعود الى ما قبل عام ٢٥٠م لأن كبريانوس استخدمها ، بينما [illegible] سانداى *W. Sanday* انها تمت عام ٢٠٠م .

[illegible] هيبوليتس ويوسابيوس وبوجه إخص ابيفانيوس عدداً [illegible] الصفحات من النص اليونانى المفقود ، ووُجد عدد من [illegible] الاخرى فى بعض البرديات والمخطوطات ، وهذه الاجزاء يمكن [illegible] تجمع معاً لتكون النص كاملاً .

[illegible] *E. Ter-Minassiant* ترجمة أرمنية حرفية للكتاب [illegible] والخامس ونشرها .

[illegible] ٢٣ مقطع من الكتاب فى ترجمات سريانية .

(٢) برهان التعليم الرسولى

الكتاب الثانى الذى وصلنا من كتابات اسقف ليون هو كتاب

’Επίδειξ Ιζ Τοῦ Ἀποστολικοῦ Κηρῦγματοσ

The Demonstration of the Apostolic Teaching

أى "برهان التعليم الرسولى" ، ولزمان طويل لم نكن نعرف من الكتاب الا عنوانه فقط [٢] ، إلى أن اكتشف *Ter-Mekerttschian* فى عام ١٩٠٤ النص الكامل فى نسخة أرمنية ، ونشره لأول مرة عام ١٩٠٧ ، وهذا العمل ليس وعظة كما ظن بعض الدارسين ، بل هو كتاب دفاعى كما يوضح عنوانه ، وهو يتكون من قسمين .

يبدأ الكتاب ببعض الملاحظات التمهيدية عن أسباب كتابة هذا العمل (الفصول ١-٣) ثم يتناول القسم الاول (الفصول ٤-٤٢)المضمون الاساسى للإيمان المسيحى ، فيشرح ايريناؤس فيه عقيدة الثالوت القدوس والخلق والسقوط والتجسد والفداء ، ويصف علاقة الله بالإنسان منذ آدم وحتى السيد المسيح .

أما القسم الثانى (الفصول ٤٣-٩٤) فيقدم ادلة على حقيقة

الاستعلان المسيحى من انبياء العهد القديم ، ويقدم المسيح ابن داود المسيا المنتظر ، ويقول ايريناؤس :

«اذا كان الانبياء قد تنبؤا بأن ابن الله سيظهر على الارض ، وإذا كانوا قد حددوا المكان الذى سيُعلن نفسه فيه ، وكذا كيفية وطريقة هذا الاستعلان ، وإذا كان الرب قد تمم كل ما قيل عنه من نبوات ، إذاً إيماننا به مؤسس بثبات ، وتقليد كرازتنا صحيح ، أعنى صادقة هى شهادة الرسل الذين أرسلهم الله والذين كرزوا فى العالم كله بالذبيحة التى قدمها ابن الله بموته وقيامته» . (٣)

وفى خاتمة الكتاب يحث إيريناؤس القارئ على الحياة كما يليق بالإيمان ويحذره من الهرطقات وشرها .

ومن خلال هذا العرض لمحتويات الكتاب يتضح لنا أن هذا الدفاع لا يحتوى على جزء جدلى ، بل هو مقصور على الأدلة الايجابية على صحة العقيدة الحقيقية ، ويحيل ايريناؤس القارئ الى كتابه الآخر "ضد الهرطقات" إن أراد أن يجد تفنيداً

الغنوصية .

(٢) كتابات أخرى

من كتابات ايريناؤس الاخرى لا يوجد لدينا الا أجزاء أو عناوين فقط :

أ) كتب رسالة الى الكاهن الرومانى فلورينوس *Florinus* عن أن "الله ليس صانع الشر *That God is Not the Author of Evil*" ويحتوى كتاب التاريخ الكنسى ليوسابيوس القيصرى على مقطع طويل من هذه الرسالة . (٤)

ب) بعد أن ترك فلورينوس الايمان المستقيم ، كتب ايريناؤس عن "الثمانى *On The Ogdoad*" ، وفى آخره يقول انه كان قريباً من عصر الرسل ويختتمه بقوله :

«استحلفك يا من تنسخ صورة من هذا الكتاب ، بربنا يسوع المسيح ، وبمجيئه الثانى المملوء مجداً الذى يدين فيه الأحياء والأموات ، أن تقارن ما سوف تكتبه بهذه النسخة التى بين يديك وتصححه عليها بدقة وإن تثبت هذا القسم وتضعه فى

النسخة التى تكتبها » . (٥)

جـ) كتب ايريناؤس رسالة اخرى عن "الانشقاق *On Schism*" الى بلاستوس *Blastus* الذى كان يعيش فى روما ، ومثل فلورينوس كان يميل الى الابتداع والإنحراف الفكرى ، وحفظ لنا يوسابيوس عنوان هذه الرسالة فقط . (٦)

د) ذكر چيروم فى كتابه "مشاهير الرجال" ان ايريناؤس كتب «كتاب صغير ضد "اليونانيين" وآخر عن التهذيب» . (٧)

هـ) يوجد جزء من رسالة ارسلها ايريناؤس الى ڤيكتور اسقف روما فى نسخة سريانية ، وفى هذه الرسالة يطلب ايريناؤس من ڤيكتور أن يمضى قدماً فى مقاومة فلورينوس وأن يمنع إنتشار كتاباته .

و) حفظ يوسابيوس مقتطفات من الرسالة التى كتبها ايريناؤس الى ڤيكتور بخصوص حساب الفصح . (٨)

س) بالاضافة الى ذلك كان يوسابيوس (٩) مطلعاً على كتاب لايريناؤس بعنوان "عن المعرفة *Concorning Knowledge*"

وعلى «كتاب صغير فيه احاديث متنوعة يذكر فيها الرسالة الى العبرانيين وحكمة سليمان ويستشهد بصفحات معينة منهما» وهذا الكتاب الاخير هو فى الغالب مجموعة عظات .

✝ ✝ ✝



لاهوت ايريناؤس

لإيريناؤس أهمية كبيرة كلاهوتى ، وذلك لسببين :

١) كشف السمة المسيحية المزيفة للغنوصية ، وبذا عجّل بإستئصال وقطع اتباع هذه البدعة من الكنيسة .

٢) نجح فى الدفاع عن حقائق وعناصر ايمان الكنيسة الجامعة والتى أنكرها الغنوصيون أو أساؤا تفسيرها ، حتى استحق ان يُدعى مؤسس اللاهوت المسيحى *The Founder of Christian Theology* .

ولم يكرس ايريناؤس فكره لوضع النظريات اللاهوتية ، بل على العكس ، كان يميل دائماً الى الحذر من أى علم فكرى معرفى : «من الافضل أن لا يعلم المرء أى شىء عن أى سبب لخلق شىء ما ، بل يؤمن بالله ويستمر فى محبته ، من أن ينتفخ بمعرفة من هذا النوع ، فيسقط بعيداً عن هذه المحبة التى هى حياة الانسان ، والافضل أن لا يطلب الانسان أى معرفة أخرى سوى يسوع المسيح ، ابن الله ، الذى صُلب عنا ، من أن يسقط فى عدم التقوى عن طريق الأسئلة الخبيثة والتعبيرات والالفاظ الخادعة» . [١]

وبالرغم من موقفه الحذر تجاه اللاهوت الفكرى النظرى ، إلا أنه استحق مكانة وثقة عظيمة لانه كان أول من صاغ العقيدة المسيحية فى ألفاظ ومصطلحات ، وفى مواجهته للهرطقات لم يكن عدواً للهراطقة بل راع يطلب الخروف الضال ، فتميزت كتاباته بأنها كتابات راع أكثر منها كتابات لاهوتى ، إلا أنه يدرك أهمية المناظرة اللاهوتية لحماية الرعية من الشرود خارج الحظيرة .

١ - الثالوث

رغم ان معاصره ثيوفيلس الانطاكى كان قد استخدم اللفظ "ثالوث Τριάσ ترياس" ، إلا أن ايريناؤس لم يستخدمه فى الحديث عن الله الواحد المثلث الاقانيم ، بل كان يفضل أن يؤكد على بُعدْ آخر للثالوث فى جهاده ضد الغنوصيين : ذلك هو التأكيد على ان الله الحقيقى الواحد هو نفسه خالق العالم وهو نفسه إله العهد القديم وهو نفسه أبو الكلمة ، فهو يقول فى مقدمة الكتاب الأول من "ضد الهرطقات" :

«أرسلت كنيسة روما رسالة الى أهل كورنثوس تهديهم الى السلام وتجدد ايمانهم وتوضح وتشرح التقليد الذى استلموه حديثا من الرسل ، التقليد الذى أعلن الله الواحد الكلى القدرة خالق السماء والأرض وصانع الانسان ، الذى أتى بالطوفان (فى أيام نوح) ، الذى دعا ابراهيم ، الذى أخرج الشعب من أرض مصر ، الذى تكلم مع موسى ، الذى وضح الناموس وأرسل الانبياء ، والذى أعد النار للشيطان وملائكته ... وهؤلاء الذين يهتمون يمكنهم ان يتعلموا من هذه الرسالة انه قد أعلن فى الكنائس أنه أبو ربنا يسوع المسيح وبذا يفهمون تقليد الكنيسة الرسولى ، لان الرسالة أقدم من هؤلاء المعلمين الكذبة المحدثين الذين يخترعون الاكاذيب عن إله آخر أعلى من خالق كل الاشياء الموجودة» . (١)

وايريناؤس يقصد بذلك دحض ادعاءات الغنوصيين وأتباع مرقيون القائلة بأن الخلق والعهد القديم هما من صنع إله خالق للشر ، كمقابل ونظير لاله العهد الجديد .

ورغم ان ايريناؤس لم يبحث العلاقة بين الاقانيم الثلاثة فى

الله ، إلا انه مؤمن تماماً بأن وجود الآب والابن والروح القدس واضح فى تاريخ البشرية ، فالاقانيم الثلاثة موجودة قبل خلقة الانسان لان الكلمات "نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا" {تك ١ ، ٢٦} قالها الاب للابن وللروح القدس الذين يسميها ايريناؤس مجازياً "يدى الله" (٢) :

«لانه بيدى الاب اقصد الابن والروح القدس خُلق الانسان كله» .

«ومن ثم فان الانسان إذ قد تشكل منذ البدء بيدى الله أعنى الابن والروح القدس ، فانه قد خُلق بحسب صورة وشبه الله» .

«الانسان مركب من نفس وجسد ، خُلق على مثال الله وتشكل بيديه أى بالابن والروح القدس» .

ويشرح ايريناؤس مرة ومرات كيف ان الروح القدس يملأ الانبياء بنعمة النبوة والوحى وذلك فى خدمة الابن اللوغوس ، وكيف ان الاب هو الذى يدبر كل ذلك ، وهكذا يقدم ايريناؤس ايكونوميا (تدبير) الخلاص بأكمله فى العهد القديم كتعليم رائع واضح عن الاقانيم الثلاثة فى الله الواحد .

٢ – الخريستولوجى :

أ – علاقة الآب بالابن :

عن علاقة الاب بالابن يقول ايريناؤس بوضوح :

«اذا سألنا أحد "كيف وُلد الابن من الآب ؟" نجيبه بان أحداً لا يفهم ذلك الميلاد أو الدعوة أو أياً كان الاسم الذى يمكن أن نصف به ميلاده ، الذى هو فى الحقيقة لا يُوصف على الاطلاق .. لكن فقط (نعرف) ان الآب هو الذى يلد والابن هو الذى وُلد» . (١)

ونجد فى ايريناؤس أول محاولة لفهم العلاقة بين الاب والابن بطريقة منهجية نظرية : «الأب عُرف بالابن الذى هو فى الآب والذى الآب فيه» . (٢)

«لا يستطيع أحد أن يعرف الآب إلا إذا أعلنه له كلمة الله الذى هو الابن ، كما لا يمكن لأى انسان أن يعرف الابن إلا بحسب مسرة الآب الصالحة حيث ان الابن يفعل مسرة الآب الصالحة» .

والابن من خلال الخليقة يعلن الآب كخالق :

«من خلال العالم ، يعلنه كرب صنع العالم
ومن خلال صنعة يديه ، يعلنه كفنان مبدع
ومن خلال الابن ، يعلنه كآب ولده منذ الأزل»

وكما دافع قديسنا أسقف ليون عن أن الآب هو خالق العالم ضد الغنوصيين ، كذلك علم بأن هناك مسيح واحد ، رغم أننا نلقبه بأسماء عديدة ، لذلك المسيح هو نفسه ابن الله ، وهو نفسه اللوغوس الكلمة ، وهو نفسه يسوع المسيح الاله المتجسد ، هو نفسه مخلصنا وربنا .

ب – الانجماع الكلى فى المسيح :

ان محور خريستولوچيا ايريناؤس بل وكل لاهوته هو "الانجماع الكلى فى المسيح ’Ανακεφαλαίωσισ *Recapitulation*" وقد استقى هذا الفكر من رسالة بولس الرسول الى أهل أفسس حيث يوضح أن غاية الله النهائية من الخليقة كلها التى سيحققها فى ملء الأزمنة هى «ان يجمع كل

شئ فى المسيح» {اف ١ : ٧} ، ويقول ايريناوس : «فى ملء الزمان صار (الكلمة) انساناً منظوراً وملموساً لكى يجمع كل شئ فى نفسه ويحتوى كل شئ ويبيد الموت ويظهر الحياة ويعيد الوحدة بين الله والانسان» . [٣]

وهذه الكلمة اليونانية التى استخدمها القديس بولس الرسول ثم القديس ايريناؤس تتركب من البادئة اليونانية

Ανα معناها «من جديد» .

Κεφαλαι معناها «قطب ، أساس ، رئيس» .

Όω معناها «يضع» .

فهى تتضمن معنى «جمع الاطراف فى رأس واحد» أو «تلخيص وتركيز الاشياء المتعددة فى مجمل واحد» أو «تكميل الاشياء الناقصة» .

وما يقصده ايريناؤس من الانجماع الكلى هو انجماع الكل فى المسيح ، اذ أن الله يُصلح الخطة الالهية الاولى لخلاص الانسان والتى افسدها سقوط آدم ، ويجمع الله عمله كله منذ البدء ويجدده ويستعيده ليراه ويعرفه فى ابنه المتجسد الذى صار لنا

بهذه الطريقة آدم ثان ، ولأن الجنس البشرى كله قد سقط بسقوط آدم ، لذا كان لابد أن يصير الله انساناً لكى يجدد الجنس البشرى :

«الامور التى فنت كان لها جسد ودم ، لان الرب اخذ تراباً من الأرض وصنع الانسان ، ومن أجله تم كل تدبير مجئ الرب ، لذا صار (الرب) جسداً ودماً ، جامعاً ثانية فى نفسه ، ليس عملاً آخر بل نفس عمل يدى الاب الاصلى طالباً ما قد هلك» . [٤]

لكن بانجماع الانسان الاول هذا ، ليس فقط آدم شخصياً بل الجنس البشرى كله أُستعيد وتجدد :

«عندما تجسد وتأنس ، جمع فى نفسه تاريخ الانسان الطويل جامعاً ومعطياً لنا الخلاص كى ننال ثانية فى المسيح يسوع ما فقدناه فى آدم ، أى صورة وشبه الله» . [٥]

فما يقصده ايريناؤس من «الانجماع الكلى» هو انجماع الخليقة مع الخالق نفسه فى المسيح الذى يحقق فى نفسه ملء الوجود الكلى للخالق والخليقة معاً :

«فان المسيح كما قلنا قد وحد الانسان مع الله ... فقد كان لائقا ان الوسيط بين الله والناس بحق قرابته الخاصة مع كل منهما يعيد الالفة والتوافق بينهما ويقدم الانسان الى الله ويُظهر الله للانسان ... فإنه من أجل ذلك قد جاء مجتازا فى جميع الاعمار لكى يعيد للجميع الشركة مع الله» . (٦)

فغاية التجسد النهائية هى اعادة الشركة بين الله والبشرية وهذا هو ما لم يفهمه الهراطقة :

«ان البعض لا يقبلون عطية التبنى ويحتقرون الميلاد البتولى الذى به تجسد كلمة الله ، وهم بذلك يحرمون الانسان من الارتقاء نحو الله ، ويصيرون غير شاكرين لكلمة الله الذى تجسد من أجلهم ، فانه لهذه الغاية صار ابن الله ابناً للانسان : لكى يتحد الانسان بالكلمة ويقبل التبنى فيصير بذلك ابناً لله» . (٧)

وهكذا جدد المسيح كل شئ بهذا الانجماع الكلى فيه :

«ما الذى أعطاه الرب عند مجيئه ؟ إعلم أنه أعطى كل الجدة *newness* بان اعطى نفسه ، هو الذى قيلت عنه النبوات ، لان

هذا قد أعلن قبلاً ، ان جدة ستأتى وتعطى حياة للانسان» . (٨)

ذلك ان افعال المسيح الخلاصية التى أتاها من أجل خلاصنا إنما تبلغ الينا من خلال هذه الحقيقة الالهية ، أى تجميع البشرية كلها فى جسد المسيح ، لانه يحوى فى ذاته الكل ومنه ينبع الكل ويتجدد .

جـ - آدم والمسيح :

يشرح ايريناؤس تلك المقابلة البديعة بين آدم والمسيح ، على اعتبار ان الخليقة هى خليقته الخاصة ، التى استجمعها ثانية فى نفسه ، فيقول ابو التقليد الكنسى :

«إستجمع ثانية فى نفسه كل تاريخ الانسان ، مجملاً الخلاص ومقدماً اياه لنا ، حتى ننال ثانية فى المسيح يسوع ما فقدناه فى آدم (أى صورة الله ومثاله) ، فالله جمع فى نفسه خليقته القديمة ، أى الإنسان ، لكى يبيد الخطية ، ويهلك الموت ، ويحيى الإنسان "لذلك فإن كل أعمال الله حق" {تث ٣٢ : ٤}» .

ويعبر القديس ايريناؤس بلفظ رائع ان آدم لم يفلت من تحت

يدى الله ، اذ حتى بعد السقوط كانت يدا الله تمسكان به ، ومن خلال العهد القديم "كان الكلمة حاضراً مع البشرية الى اليوم الذى اتحد فيه هو نفسه بخليقته وصار جسداً " .

ويشرح القديس ايريناؤس كيف ألغى عصيان آدم بمقتضى الطاعة الكاملة لآدم الثانى ، حتى ينال الكثيرون الخلاص والتبرير بطاعته ، فيقول :

«وهكذا صار الكلمة جسداً ، حتى تبطل الخطية تماماً بواسطة هذا الجسد نفسه الذى سبق أن ملكت فيه الخطية ، لذلك أخذ الرب لتجسده نفس الشكل الأول حتى يشترك فى المعركة عن سلفائه ويغلب فى آدم ما صرنا نحن مغلوبين منه فى آدم» .

هـ - الصليب والخلاص (السوتيريولوجى) .

وفى مجال المشابهة بين آدم والمسيح نجد القديس ايريناؤس يتكلم عن الإقتداء بالمسيح ، عندما يوهب الانسان مشابهة الله ومثاله ، فيقول :

«حينما صار الكلمة إنساناً وشابه الإنسان ، جعل الإنسان

يشابهه ، وبصيرورة الإنسان على شبه الإبن صار عزيزاً فى عينى الآب» [٩] .

ويبين لنا ايريناؤس الليونى ان تعاليم السيد المسيح ومثال المسيح لا يمكن ان ينفصلا عن عمل الصليب ، لأنه فقط بتجميع المسيح فى نفسه كل مرحلة من عمر الانسان اكمل المسيح الخلاص ، بل هناك على خشبة الصليب (شجرة الطاعة) أباد المسيح الموت الذى سببته خشبة العصيان [١٠] .

والوعد للمرأة الأولى بأنها ستسحق رأس الحية ، يشرح المعركة بين المسيح والشيطان والتى حدثت على الصليب ، وإن كان الشيطان قد غلب فى المعركة ظاهرياً وإلى حين ، لكن المسيح إنتصر بعد ذلك الى الأبد ، وكان لابد أن رئيس البشرية نفسه يصير إنساناً لكى يستجمع فى نفسه الحرب الدائرة بيننا وبين عدو جنسنا وليدخل المعركة مع قاهر آدم فيقهره ، مقدماً الإنتصار على الموت الى الذين كانوا فى آدم أسرى الموت والشيطان [١١] .

فنسل المرأة هو المسيح الغالب الذى سحق رأس الحية وأباد آخر عدو الذى هو الموت وأطلق سراح آدم لأن خلاص المسيح هو إبادة الموت . (١٢)

فالمسيح بواسطة آلامه اباد الموت والخطية ، والفساد والجهل ، وألبس المؤمنين عدم الفساد ، ويقول القديس ايريناوس :

«المسيح حارب وغلب ، لأنه إنسان خاض المعركة عن الآباء ، وبطاعته ألغى العصيان تماماً ، لأنه ربط القوى وحرر الضعيف ، وبإبادته للخطية ألبس خليقته الخلاص» . (١٣)

ويضيف القديس ايريناوس أن : «نزول المسيح الى عالم الاموات (الجحيم) كان فيه ايضاً تحرير آباء العهد القديم» . (١٤)

ويسوق القديس إيريناؤس دليلاً على العلاقة بين الخلاص من الموت والخلاص من الخطية ، ذلك هو معجزة شفاء المفلوج (مت ٩ : ٢-٩) ، فهذه المعجزة تعنى ان ابن الله الوحيد قد أتى من عند الله لخلاص الإنسان ، والله وهب غفران الخطية فى ابنه ، ولأن المرض كان أحد نتائج الخطية فقد أصبح من اللائق أن الذى

أتى بالخلاص Σωτηρὶα (سوتيريا) يصير هو الآتى بالصحة والشفاء من الموت ايضاً .

وفى مواجهة الغنوصيين يصر ايريناؤس يصر على أن الذى أتى بالخلاص من الخطية هو الذى أتى بالخلاص من المرض ، هو المسيح نفسه ، لذلك حينما غفر المسيح الخطية (فى معجزة المفلوج) ، ففى الوقت نفسه شفى المرض ، وبالتالى أبرأ من الموت ، وهكذا أعلن عن نفسه من يكون ، لأنه لا يستطيع أحد أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ، فخلاص الشفاء وخلاص المغفرة ، الذى أتى به المسيح كشف عن انه هو كلمة الله نفسه ، وأنه بالرغم من انه صار إنساناً وتألم من أجل البشر (كإنسان) ، لكنه هو الله الذى صنع رحمة بالإنسان وغفر له خطيئته (كإله) .

٢ - الافخارستيا

اكد القديس ايريناؤس على الوجود الحقيقى لجسد ودم الرب فى الافخارستيا ، ويستدل على قيامة الجسد البشرى من حقيقة

ان هذا الجسد قد تغذى بجسد ودم المسيح :

«عندما ينال الكأس الممزوج والخبز المصنوع كلمة الله Ἐπιδέχεται Τον Λόγον Τοῦ Θεοῦ تصير الافخارستيا جسد ودم المسيح ، ومنها يتغذى ويحيا جسدنا وينمو ، كيف إذاً يؤكدون ان الجسد غير قابل على تقبل عطية الله التى هى الحياة الابدية ، وهو الذى تغذى من جسد ودم الرب والذى هو عضو فيه ؟ .... هذا الجسد الذى تغذى بالكأس الذى هو دمه ونال نمواً من الخبز الذى هو جسده» . (١)

«والآن كيف يقولون ان الجسد يمضى الى الفساد ولا يشارك فى الحياة ، وهو الذى تغذى بجسد الرب ودمه ، اما أن يغيروا رأيهم أو يكفوا عن تقديم التقدمات التى ذكرتها ، لكن رأينا هو فى توافق وهارمونية مع الافخارستيا ، والافخارستيا تؤكد رأينا ، ونحن نقدم له مما له معلنين شركتنا ووحدتنا ، معترفين بقيامة الجسد والروح ، لانه كما أن الخبز الذى من الأرض ، بعد ان ينال استدعاء الله

Παραλαβόμενοσ Τὴν'Επικλησιν Τοῦ Θεοῦ

لا يعود بعد خبزاً عادياً بل يصير افخارستيا مكونة من عنصرين أرضى وسماوى ، كذلك ايضا اجسادنا ، باشتراكها فى الافخارستيا لا تعود قابلة للفساد *Corruptible* بعد أن نالت رجاء القيامة الابدية» . (٢)

وكانت السمة الذبيحة للافخارستيا واضحة لايريناؤس ، لانه يرى فيها الذبيحة الجديدة التى تنبأ عنها ملكى صاداق :

«بعد أن أوصى تلاميذه ان يقدموا لله ابكار خلائقه ـ ليس كما لو كان محتاج اليها ، بل لكى لا يكونون هم أنفسهم بلا ثمر أو غير شاكرين ـ أخذ خبزاً ، وهو جزء من الخليقة ، وشكر قائلا "هذا هو جسدى" وأخذ الكأس وهى ايضا جزء من الخليقة التى نحن منها ، وأعلن أنها دمه ، وعلم القربان الجديد الذى للعهد الجديد ، والكنيسة إذ استلمت هذا من الرسل ، تقدمه لله فى العالم كله ، لذاك الذى يعطينا أبكار عطاياه فى العهد الجديد من أجل حياتنا وغذائنا .

وملاخى من بين الاثنى عشر نبياً ، تنبأ قائلا : "ليست لى

مسرة بكم قال رب الجنود ، ولا أقبل تقدمة من يدكم ، لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمى عظيم بين الأمم قال رب الجنود" {ملاخى١ : ١٠-١١} فبهذه الكلمات شرح بوضوح ان الشعب السابق (اسرائيل اليهودى) سيكف عن تقديم القرابين والتقدمات لله ، لكن فى كل مكان ستقدم ذبيحة له ، ذبيحة طاهرة وسيتمجد اسمه بين الأمم» . (٣)

وقد شرح القديس ايريناؤس الفرق بين ذبائح العهد القديم وبين ذبائح كنيسة العهد الجديد فهو يقول :

«نوع الذبيحة بصفة عامة قد ألغى وبطل لانه كانت هناك تقدمات فى ذلك الحين ، وهنا أيضاً تقدمات الآن ، كانت هناك ذبائح وسط الشعب ، والآن هنا ذبائح ايضاً فى الكنيسة ، لكن نوع الذبيحة فقط هو الذى تغير ، لان الذبيحة الآن ليست ذبيحة عبيد بل ذبيحة احرار .... كان اليهود يقدمون عشور خيراتهم وثمارهم له ، لكن هؤلاء الذين نالوا الحرية تركوا كل ما لديهم وكل ما يملكون للرب ، مقدمين بفرح وحرية ما هو أقل قيمة

بالنسبة لهم ، لأن لهم رجاء فى الأمور الأعظم ، مثل تلك الأرملة الفقيرة التى وضعت كل معيشتها فى خزانة الرب {لوقا ٢١ : ١ - ٤}» . (٤)

كما وأكد القديس على الحياه الباطنية لمقدم الذبيحة والحذر من التظاهر (المظهرية) وأهمية انجماع الفكر والطهارة الداخلية :

«لانه منذ البداية نظر الله بسرور ورضى لتقدمة هابيل ، لانه قدمها بالجماع فى الفكر وببر ، ولم يرض بتقدمة قايين ، لأن قلبه كان منقسم بالحسد والحقد على اخيه ، كما قال الله عندما وبخ افكاره الخفية "ان احسنت أفلا رفع ، وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة واليك اشتياقها وأنت تسود عليها" {تك ٤ : ٧} لان الله لم يقبل الذبيحة ، لانه إن حاول أحد أن يقدم ذبيحة بطهارة تقدمها صحيحاً قانونياً لمجرد المظهر الخارجى ، بينما هو فى داخله لا يشارك مع جاره فى هذه الاخوة ، فهو يحفظ خطية فى داخله ، ولا يخدع الله بهذه الذبيحة التى هى صحيحة ظاهرياً (وشكلياً) ، ومثل هذه التقدمة لن تفيده شيئاً إلا إذا ترك ما هو مخبأ داخله» . (٥)

٤ - الماريولوجى

كان لفكرة ايريناؤس عن الانجماع الكلى اثرها على عقيدته فى العذراء مريم ، وبعد أن عقد يوستين الفيلسوف الشهيد أول مقارنة بين حواء والعذراء مريم ، مثلما قارن بولس الرسول بين آدم والسيد المسيح آدم الثانى ، طور ايريناؤس هذه المقارنة :

«مريم العذراء وُجدت مطيعة قائلة "هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك" لكن حواء لم تطع ، وهى لم تطع عندما كانت لا تزال عذراء ، بالرغم من أنه كان لها زوج أى آدم ، إلا أنها كانت عذراء ، وبعد أن عصت صارت سبب موت لنفسها وللجنس البشرى كله ، كذلك مريم ، فوهى مخطوبة لرجل ومع ذلك عذراء ، صارت بطاعتها سبب خلاص لنفسها وللجنس البشرى كله» .(١)

فبحسب ايريناؤس ، تدبير الفداء يوازى تماماً مراحل السقوط ، لان كل خطوة خاطئة اتخذها الانسان بعد أن أغراه الشيطان ، يقابلها عمل فى تدبير الله ، لكى يكون انتصار الانسان على ابليس كاملاً ، وقد أُعطى الجنس البشرى رأساً

جديداً عوضاً عن ادم الأول ، ولكن لأن المرأة الأولى اشتركت فى السقوط بسبب عدم طاعتها ، لذا بدأت عملية الشفاء ايضاً بطاعة المرأة ، ولأنها أعطت الحياة لآدم الجديد ، صارت حواء الحقيقية ، الأم الحقيقية لكل حى ، وهكذا صارت العذراء مريم محامية ومدافعة عن العذراء حواء :

«وإن كانت الأولى (حواء) قد عصت الله إلا أن الاخيرة (مريم) كانت مطيعة لله ، حتى تصير العذراء مريم المحامية والمدافعة *advocate* عن العذراء حواء ، وهكذا ، كما أن الجنس البشرى سقط فى رباط الموت عن طريق عذراء ، كذلك ايضا خلص وأنقذ عن طريق عذراء ، فعدم الطاعة العذراوية قُوبل بالطاعة العذراوية» .(٢)

وطور ايريناؤس المقارنة بين حواء والعذراء مريم (حواء الثانية الجديدة) أكثر من ذلك ، فرأى أن مريم الأم الجديدة للجنس البشرى كله ، حتى أنه يدعوها "رحم البشرية *The Womb of Mankind*" ، وهكذا يعلم بالاموة المسكونية للعذراء مريم ، ويتحدث عن ميلاد المسيح ويصفه :

ويطردون الفساد ، وينيرون الإنسان الى الحياة ، لذا من الواضح ان الكلمة خالق كل الاشياء ، الجالس على الشاروبيم ، والذى يحفظ الكل معاً ، عندما استعلن للبشر ، أعطانا الانجيل فى أربعة اشكال محفوظة معاً بروح واحد» . [٢]

ويربط ايريناؤس بين عدد الاناجيل الاربعة وبين المخلوقات الاربعة الحاملة عرش الله :

«الشاروبيم لهم اربعة وجوه ، ووجوههم هى ايقونات لتدبير ابن الله ، لأن "الحيوان الأول شبه أسد" (أى القديس يوحنا) بما يدل على عمله (أى عمل المسيح) وأثره الحقيقى وقوته المرشدة وملوكيته ، "والحيوان الثانى شبه عجل" (القديس لوقا) يدل على مكانته ككاهن ومقدم للذبيحة ، و "الحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان" (القديس متى) يرسم بوضوح شديد حضوره (أى المسيح) كإنسان ، و "الحيوان الرابع شبه نسر طائر" (القديس مرقس) يوضح عطية الروح المرفرفة والنازلة على الكنيسة» . [٣]

وايريناؤس هنا يختلف عن التطور الذى حدث فى الرمزية

المسيحية فيما بعد ، إذ أنه ينسب الأسد هنا الى القديس يوحنا ، والنسر الى القديس مرقس ، بينما صار الأسد فيما بعد رمزاً للقديس مرقس والنسر للقديس يوحنا المحلق فى سماء اللاهوتيات .

وفى تحديد قانونية الأسفار ، يؤكد ايريناؤس على ضرورة وأهمية السمة الرسولية [٤] لهذه الأسفار ، اى حقيقة أن الرسل أو خلفاءهم هم الذين كتبوها ، وبالتالى يمكن الثقة فى أنها تتضمن الشهادة الرسولية ، وبينما كان الهراطقة يقدمون تفسيرات ومعان للكتاب المقدس مختلفة عن تلك التى اقرتها وحددتها الكنيسة ، كان ايريناؤس [٥] مقتنعا بأن الكتاب المقدس لو قُرئ ودُرس ككل ، سيكون تعليمه واضحاً بذاته لا يحتاج الى تفسير ، والهراطقة أخطأوا فى تفسيرهم لأنهم ـ متناسين وحدته الجوهرية ـ اعتمدوا فقط على بعض الصفحات وأعادوا ترتيبها لتتناسب مع أفكارهم الخاصة [٦] ، لكن الكتاب المقدس يجب أن يُفسر فى ضوء الاعلان الأصلى نفسه ، لذا كانت الكنيسة وحدها هى التى تستطيع أن تفسره تفسيراً صحيحاً ، لأن فيها

استمر التقليد الرسولى ، الذى هو المدخل للكتاب المقدس ، نقياً صحيحاً [٧] ، وهكذا ، للكنيسة الصوت القاطع الحاسم فى تفسير الكتاب المقدس ، لأن كتابات وأسفار العهد القديم والجديد هى مثل أشجار فى حديقة الكنيسة التى تغذينا بثمارها :

«يجب علينا إذن أن نتجنب عقائدهم (الهرطوقية) ونحذر لئلا نجرح منهم ، ونهرب الى الكنيسة ونتربى فى حضنها ونتغذى بكتاب الرب ، لأن الكنيسة غُرست كفردوس فى هذا العالم ، لذا يقول روح الرب "من جميع شجر الجنة تأكل أكلا" أى كُل (أنت) من كل كتاب الرب ، لكن لا تأكل مع أى فكر أو عقل منتفخ مغرور أو تقرب أى إنشقاق هرطوقى» . [٨]

ويحدد القديس ايريناؤس طريقة التفسير الانجيلى وشرح الاسفار وتقديم المنهج الايمانى ، فيقول :

«ان العقل الراجح الذى لا يعرض صاحبه للخطر ، المكرس للتقوى ومحبة الحق ، يتأمل بشغف فى الاشياء التى جعلها الله فى حدود قدرة البشر وفى متناول ادراكنا ، ويمكنه ان يحرز

تقدماً فيها جاعلاً معرفتها سهلة عليه بالمثابرة اليومية على دراستها ، هذه الاشياء هى التى تضعها الاسفار المقدسة امام عيوننا بوضوح وتعرضها لنا بلا غموض فى كلمات معبرة ، فلا ينبغى اذن أن تفسر الامثال بتعبيرات غامضة ، حتى لا يعرض الشارح نفسه للخطر ، وتحظى الامثال بشرح واحد من الجميع ، ويظل جسد الحقيقة سليماً بواسطة تفسير متجانس لكل أعضائه وبلا أى تعارض ، ولكنه أمر يتنافى مع العقل ان تُستخدم تعبيرات غير واضحة فى تفسير الامثال حسب هوى كل واحد وكما يتراءى له ، لأنه لن يقتنى أحد بهذه الطريقة قاعدة الحق بل على قدر تعدد الشارحين ستتعدد صور الحق وتتعاض مع بعضها البعض وينتج عن ذلك خليط من عقائد متضاربة ، كالمسائل التى تتردد بين فلاسفة الأمم» . [٩]

وخلال كتابات القديس ايريناؤس نلمس استعماله الكثيف لآيات الكتاب والاقتباسات الكتابية مع تقييم شديد لنبوات العهد القديم وتأثره بفكر معلمنا بولس الرسول .

إستخدم القديس ايريناؤس فى تفسيره للكتاب الاسلوب

التصوفى المجازى ، على اعتبار أن الوحى مشحون بالاعلان الالهى خلال الرمز والمثال ، كما يعتبر أن الافعال التى ورد ذكرها فى الاسفار المقدسة ، يلزم أن نبحث لها عن مغزى .

أكد القديس ايريناوس على صحة الايمان وبرهانه خلال الاسفار التى تقدم برهاناً كاملاً للعقيدة المسيحية «ايماننا راسخ غير مزيف ، وهو الوحيد الحقيقى وله برهانه الساطع من الاسفار» .

٦ - الكنيسة «الاكليسيولوچى»

يرتبط الاكليسيولوچى عند ايريناؤس بمبدأ الاجماع الكلى *recapitulation* ، فالله يجمع فى المسيح ، ليس فقط الماضى ، بل وايضاً المستقبل ، لذلك جعله رأساً للكنيسة كلها كى يستمر عمله فى التجديد من خلالها حتى نهاية العالم :

«لذلك هناك إله آب واحد ، ويسوع المسيح ربنا الواحد ، الذى يأتى بتدبير مسكونى ويجمع كل الاشياء فى نفسه ، لكن فى "كل الاشياء" الانسان متضمن ايضاً ، إذ أنه خليقة الله ، لذلك فهو (المسيح) يجمع الانسان فيه ، الغير منظور يصير

منظوراً ، غير المدرك يصير مدركاً ، والمستحيل يصير ممكناً ، واللوغوس انساناً مُجمعاً ومُعيداً كل الأشياء فيه ، وهكذا ، كما أنه الأول فى الأمور السمائية الروحية غير المنظورة ، هو أيضاً الأول فى الأمور المنظورة المحسوسة ، وجعل نفسه رأساً للكنيسة ويجمع كل الأمور فيه فى الوقت المعين» . [١]

ويرى ايريناؤس أن الكنيسة حفظت التقليد المسلم من الرسل لها بلا تغيير وتسلمه لاطفالها ، وهذا التقليد هو نبع ومعيار الايمان ، هو قانون الايمان *The Canon of Faith* ، ويبدو أن قانون الايمان هذا بالنسبة لايريناؤس هو القانون الذى يتلى عند المعمودية لأنه يقول أننا نستلمه فى المعمودية . [٢]

ورأى أن التقليد المقدس تقليد حى مستقل نوعاً ما عن الوثائق المكتوبة ، وأشار [٣] الى القبائل البربرية التى «تسلمت الايمان بدون رسائل» وبخلاف تقليد الغنوصيين السرى المزعوم ، كان التقليد علنياً لأن الرسل سلموه لخلفائهم وهؤلاء بدورهم لخلفائهم وهو مرئى وواضح فى الكنيسة لكل من يريد ان يراه :

«أن تقليد الرسل الذى صار واضحاً فى العالم كله ، يمكن لهؤلاء الذين يريدون أن يعرفوا الحق أن يروه فى كل كنيسة ، ويمكننا أن نعدد هؤلاء الذين أقامهم الرسل اساقفة فى الكنيسة ، ونعدد خلفائهم حتى وقتنا هذا ، وسنجد أن أياً منهم لم يعلم ولم يفكر مثل هذه الافكار المجنونة ، وحتى لو كان الرسل قد احتفظوا بمعرفة الاسرار فى الخفاء وعلموها للكاملين سراً بعيداً عن الآخرين ، لكانوا سلموها خاصة لهؤلاء الذين استأمنوهم على الكنائس ذاتها ، لأنهم ارادوا بالتأكيد أن يكون هؤلاء الذين سيخلفونهم والذين سيستلمون مركزهم التعليمى ، كاملين بلا لوم ، اذ أن سلوكهم الصحيح منفعة عظيمة ، أما فشلهم فهو كارثة كبيرة» . [٤]

وأوضح ايريناؤس نقطتين هامتين :

١) التسلسل الاسقفى الغير منقطع الذى يعود للرسل هو الذى يحفظ ويحرس تطابق وتماثل التقليد الشفاهى مع الاستعلان الاصلى بلا تغيير . [٥]

٢) الروح القدس هو أيضاً حارس لهذا التماثل لأن الرسالة سُلمت فى الكنيسة ، والكنيسة هى بيت الروح [٦] ، واساقفة الكنيسة هم رجال مملؤون من الروح القدس وقد أعطوا «نعمة الحق التى لا تخطئ» . [٧]

وقدم ابو التقليد الكنسى وصفاً لإيمان الكنيسة يتبع فيه تماماً قانون ايمان الرسل :

«رغم ان الكنيسة منتشرة فى العالم كله حتى اقاصيه ، إلا أنها تسلمت من الرسل ومن تلاميذهم الايمان بالله الواحد ، الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض والبحار وكل ما فيها ، وبيسوع المسيح الواحد ابن الله الذى تجسد من أجل خلاصنا ، وبالروح القدس الذى أعلن بالأنبياء عن التدبير ، وعن المجئ (أى التجسد) ، وعن الميلاد البتولى ، وعن الآلام والقيامة من الأموات ، وصعود ربنا يسوع المسيح الحبيب الى السموات جسدياً ، ومجيئه من السموات فى مجد أبيه وظهوره الأتى من السموات ليجمع كل الاشياء فيه وليقيم جسد البشرية كلها الى الحياة ، لكى تنحنى كل ركبة فى السماء وعلى الأرض وتحت

الارض للمسيح يسوع ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا ، بحسب ارادة الآب غير المنظور ، وحتى يعترف له كل لسان ، ويحكم هو حكماً عادلاً على الجميع ويطرد ارواح الشر والملائكة الذين سقطوا فى التعدى وصاروا مرتدين ، وكذلك الذى بلا اله ، والشرير ، والذى بلا ناموس ، والمجدف ، فى النار الابدية ، لكن فى محبته وعطفه سيهب الحياة وجعالة عدم الفساد والمجد الابدى لهؤلاء الذين حفظوا وصاياه وثبتوا فى محبته سواء منذ بداية حياتهم أو منذ توبتهم .

هذا التعليم وهذا الايمان تحفظه الكنيسة بعناية وحرص بالرغم من انتشارها فى العالم كله ، كما لو كانت تسكن فى بيت واحد ، وتؤمن كما لو كان لها عقل واحد وتعلم كما لو كان لها فم واحد ، ورغم أن هناك لغات كثيرة فى العالم ، الا أن معنى التقليد هو هو واحد ، لأن نفس الايمان تتمسك به وتسلمه الكنائس التى فى ألمانيا وأسبانيا والتى بين قبائل الـ *Celts* ، والتى فى الشرق ، فى مصر ، فى ليبيا والتى فى مركز الارض ، اذ كما ان الشمس ، خليقة الله ، هى واحدة فى العالم

الله ، كذلك ايضاً كل نور تعليم الحق ، يسطع على كل هؤلاء الذين يرغبون فى معرفة الحق» (٨) .

لذا لا يمكن الاعتماد الا على الكنائس المؤسسة على الرسل ، من اجل التعليم الايمانى الصحيح ومن اجل الحق ، لأن التسلسل والتتابع الاسقفى الغير منقطع فى هذه الكنائس يحرس ويحفظ حقيقة وصدق عقيدتها ، ففى الكنيسة :

«استودع الرسل وديعتهم كما يصنع الاغنياء ، اذ سلموها كل ما يتعلق بالحق حتى ان كل من يريد يستطيع ان يأخذ منها ماء الحياة ، فالكنيسة هى باب الحياة ، والآخرون هم سراق ولصوص ، لذا يجب علينا ان نتجنبهم ونحب بغيرة عظيمة كل شيء فى الكنيسة وبذا نتمسك بتقليد الحق *Tradition of the Truth*» (٩) .

وأكد القديس على أننا ننال حياة داخل الكنيسة ، لأن فيها يوجد روح الله وكل نعمة :

«لقد اؤتمنت الكنيسة على عطية الله ، تماماً مثل النفس فى خليقة الله ، حتى ان كل الاعضاء الذين يستلمون هذه العطية

ينالون حياة ، وفيها نجد شركة مع المسيح ، أى الروح القدس عربون الابدية ، ثبات ايماننا ، سلم الصعود الى الله ، فالرسول يقول "وضع الله اناساً فى الكنيسة اولاً رسلاً ، ثانياً أنبياء ، ثالثاً معلمين" {او ١٢ : ٢٨} ... وهؤلاء الذين لا يأتون الى الكنيسة لا يتشاركون فى النعمة بل يحرمون أنفسهم من الحياة بعقائدهم وأعمالهم الشريرة ، لأنه حيثما توجد الكنيسة يوجد روح الله وحيثما يوجد روح الله توجد الكنيسة وكل نعمة .

ولأن الروح هو الحق ، لذلك هؤلاء الذين لا يتشاركون فى الروح لا يتغذون على صدر الام الكنيسة الى الحياة ، ولا ينالون غذاء من نبع صافى ينبع من جسد المسيح بل يحفرون لأنفسهم "أباراً مشققة" {ار ٢ : ١٣} » . (١٠)

لأن فداء الفرد تحققه الكنيسة وأسرارها باسم وفى إسم المسيح ، فالسر هو للطبيعة ، مثل ما يكون ادم الجديد للعتيق ، فالمخلوق ينال كماله فى الاسرار ، لأن السر هو ذروة انجماع الخليقة فى المسيح .

وحث إيريناؤس شعبه على التمسك بالتسلسل الرسولى والهيرارخية فى كنيسة الله ، والتعلم من هؤلاء الذين اقامهم الروح فى الكنيسة :

«يجب ان نستمع ونصغى لهؤلاء الشيوخ فى الكنيسة ، الذين لهم التسلسل من الرسل ، مع تتابع الاسقفية ، واستلموا نعمة الحق الخاصة ، أما الباقون ، هؤلاء الذين يبتعدون عن التتابع الاصلى ويجتمعون بعيداً ، فيجب أن نشك فيهم اما انهم هراطقة أو ان لهم افكاراً خاصة ، أو انهم منشقون متكبرون ومكتفون بذواتهم ، أو انهم منافقون يعملون من أجل المال أو من أجل الشهرة ، وهؤلاء جميعهم ضالون عن الحق .

يجب أن تبتعدوا عن كل من هم مثل هؤلاء ، وتظلوا قريبين من هؤلاء الذين يتمسكوا بالتتابع الرسولى فى طقس الكهنة ، الذين لهم تعليم صحيح وسلوك بلا عيب كمثال وقدوة صالحة لتقويم الآخرين» . (١١)

† † †

خاتمة

* وُلد القديس إيريناؤس نحو سنة ١٣٥م على مقربة من شواطئ آسيا الصغرى القديمة .. وتعود منذ أن كان صبياً أن يحضر عظات القديس بوليكاربوس أسقف أزمير الشهيد ، الذى كان أحد تلاميذ الرسل انفسهم .

* رُسم قساً لكنيسة ليون بفرنسا ، ثم اسقفاً للمدينة بعد استشهاد اسقفها فى إضطهاد مروع ، فصار راعياً لها ولبعض الايبارشيات الصغيرة فى جنوب بلاد الغال التى كانت مرتبطة بكرسيه من قبل .

* وحينما كان قساً ، كلفه رؤساء كنيسة ليون بالتوجه الى روما ليسلم اسقفها رسالة يستوضحون فيها عن هرطقة المونتانيين الذين يدعون النبوة ، وهذه الهرطقة كانت قد نشأت فى اسيا الصغرى وأزعجت الكنيسة كلها ، لكن ايريناؤس بسعة

قلبه ورجاحة عقله وروحه الرعوية كان يسعى الى مصالحتها مع الكنيسة ، بعد رجاءات بالإلتزام بالسلام والوحدة وحفظ سلامة التعليم .

* برهن على وحدة الكنيسة الجامعة كمعجزة الهية ، وبلغ صوته الى اقصى الأرض ، مقدماً التعليم الرسولى الاصلى ، على لقب بـ "ابو اللاهوت المسيحى" وصاحب "عقيدة إنجماع الكل فى المسيح" .

* كتب "برهان التعليم الرسولى" و "ضد الهرطقات" ، وشهد خراب ليون عام ١٩٧م ، ويحدد التقليد تاريخ نياحته بعام ٢٠٢-٢٠٣م ، أما القديس چيروم فيقول انه قد استشهد ، وقد بعثر اتباع كلفن البروتستانتى عام ١٥٦٢ رفاته ولم يعثر الا على رأسه .

* تأثر بالقديس يوستين الشهيد ، وقدم نموذجاً للتعليم المسيحى والمعلمين المسيحيين فى الكنيسة الأولى ، فالقديس ايريناؤس نشأ وتربى فى أحضان الكنيسة الجامعة تلميذاً للرسل

والآباء الرسوليين ، وهو لا يبدو أمامنا فيلسوفاً مثل الآباء المدافعين ، بل تلميذاً للآباء الأولين ، حافظاً للتعليم الرسولى الاول وللتقليد الكنسى .

* واجه الهرطقات المعاصرة لحياته (الغنوصية والمونتانية) ، ولم يكن الجدل هدفه الرئيسى بل اهتم بإيضاح التعليم الرسولى ، ودحض الهرطقات لذلك فسمة ايريناؤس هو سمة المبشر والراعى المعلم ، اسلوبه يتسم بالتروى والابوة والإيجابية المقنعة .

* دافع عن الايمان الصحيح وربط به الكرازة والتعليم عن الخلاص ، فى مواجهة التعليم الكاذب والغريب ، لذلك اصطلح المؤرخون على تسميته بـ "أبو اللاهوت الصحيح" ، لأنه قتل الغنوصية وأقام علم اللاهوت .

* واجه هرطقة الغنوصية التى ترفض ما اسمته بإله العهد القديم ، وأوضح أن المعرفة الروحية للجميع ، لأن الكنيسة إستلمت التقليد الانجيلى من الرسل وسلمته لأولادها علانية كتعليم كنسى عام متاح لكل المؤمنين الذين يقبلون الى معرفة

الحق .

* أكد على أنه بالرغم من إنتشار الكنيسة فى كل المسكونة ، إلا أنها استلمت الإيمان الواحد من الرسل ، وتعلم بتدبير الخلاص كما من فم واحد ، كرازة واحدة وإيمان حقيقى .

* أبرز حقيقة علانية التعليم اللاهوتى المسيحى ودور الكنيسة فى تعليم جميع اعضائها ، وأظهر مضمون التعليم اللاهوتى فى صورته العملية المتصلة بخلاص الناس ، وبتدبير الله للخلاص فى المسيح ، فى عقيدة «تجميع كل شىء فى المسيح كرأس جديد للبشرية» .

* ويرى إيريناؤس إنجماع التاريخ البشرى فى شخص المسيح ، فالعهد القديم بكل تاريخه وأنبيائه أجمل وتلخص فى تجسد المسيح ، وأحداث الناموس القديم ترمز الى حياة المخلص ، حتى انه يمكن القول بأن مجئ المسيح يبدأ من ظهور رؤساء الآباء والأنبياء ، فيقول :

«لقد سبق الانبياء وأخبروا عن آلام الشهداء .. وقد رمزوا فى أشخاصهم الى هذه الآلام حباً فى الله وفى كلمته ، لأن هؤلاء الانبياء كانوا أيضاً فى المسيح ، وكل واحد منهم على قدر طاقته أظهره متنبئاً عنه ، وهم جميعاً كونوا صورة متكاملة للمخلص الواحد ، إذ سبقوا فأنبأوا عن أحداث حياته ، وكما أن أعضاء جسدنا معاً تظهر شكل الجسد ، وكما أن سمات الإنسان تظهر ليس من خلال عضو واحد بل كل الأعضاء معاً ، هكذا الأنبياء كلهم كانوا معاً يرمزون مسبقاً للمخلص الواحد ، وكل واحد منهم على حدة كان بقدر طاقته يعكس جانباً من حياة المسيح» .

* ربط القديس ايريناؤس بين ابرار العهد القديم ومؤمنى العهد الجديد برباط وثيق ، هو رباط العضوية الواحدة فى جسد المسيح ، فيقول :

«سوف يستجمع فى نفسه دم كل الابرار والانبياء المسفوك منذ البدء» .

«كما اننا ايضاً موضوع الرمز والنبوة فى العهد القديم ، إذ أن

ابرار الناموس يجدون صورتهم فينا ، أى فى الكنيسة ، وينالون جزاء اتعابهم» .

* ويرى القديس ايريناؤس أن الروح القدس هو واسطة الاتحاد بالله فيقول :

«لقد فدانا الرب بدمه ، بذل نفسه عن نفوسنا وجسده عن أجسادنا ، وأرسل روح الآب ليحقق الوحدة والشركة بين الله والإنسان» .

وبتجسد المسيح رفع الانسان الى الله ، وبمجيئه اعطانا البقاء وعدم الموت بالشركة معه ... وهكذا ثبت زيف كل تعليم الهراطقة .. فإنه ليس بالمظهر فقط صار انساناً بل وبالجوهر والحق ايضاً ، فلو لم يكن قد أخذ جسداً ودماً حقيقيين ، فكيف يتسنى له أن يفتدينا ، ما لم يكن قد جمع فى نفسه الخلقة الاولى لآدم .. وما أكثر خطأ الابيونيين الذين لم ينالوا فى نفوسهم بالايمان اتحاد الله بالانسان ، بل مازالوا قابعين فى خميرة

الناموس العتيقة ... إن نتيجة التجسد تكمن فى أن الله أعلن ميلاداً جديداً ، وبمقتضاه نرث الحياة ، تماماً كما ورثنا الموت بميلادنا الاول .

اليوبيل الماسى
للكلية الاكليريكية

المصادر والمراجع

القديس ايريناؤس

1) Euseb. Hist. Eccl. 5, 20, 5-7.
2) Ibid. 5, 4, 2.
٣) چيروم : مشاهير الرجال ـ اعداد وترجمة الراهب حنانيا السريانى ، ص ٥٤-٥٥ .
4) Euseb. Hist. Eccl. 5, 24, 17.
٥) چيروم : مشاهير الرجال ـ ص ٥٥ .
6) Gregory of Tours, Historia Francorum, 1, 27.

كتابات ايريناؤس

1) Adversus Heareses, I, Praef. 3.
2) Euseb. Hist. Eccl. 5, 20.
3) Ch. 86.
4) Euseb. Hist Eccl. 5, 20, 4-8.
5) Ibid. 5, 20, 2.

أنظر أيضاً : چيروم : مشاهير الرجال ـ ص ٥٤-٥٥ .

6) Euseb. Hist. Eccl. 5, 20, 1.
٧) چيروم : مشاهير الرجال ـ ص ٥٤-٥٥ .
8) Euseb. Hist. Eccl. 5, 23, 3; 24, 11, 17.
9) Ibid. 5, 26.

لاهوته

1) Adversus Haereses, 2, 26, 1.

الثالوث

1) Adversus Haereses, 3, Praef. 4, 2.
2) Ibid. 5, 1, 3; 5, 5, 1; 5, 28, 1.

الخريستولوچى

1) Adversus Haereses, 7, 28, 6.
2) Ibid. 3, 6, 2.
3) Demonstration of the Apostolic Teaching, 6.
4) Adversus Haereses, 5, 14, 8.
5) Ibid. 3, 18, 1.
6) Ibid. 3, 18, 7.

7) Ibid. 3, 19, 1-3.
8) Ibid. 4, 34, 1.
9) Ibid. 5, 16, 2.
10) Ibid. 5, 16, 13.
11) Ibid. 5, 12, 1.
12) Ibid. 3, 23, 7.
13) Ibid. 3, 18, 6.
14) Ibid. 3, 20, 4.

الافخارستيا

1) Adversus Haereses, 5, 2, 3.
2) Ibid. 4, 18, 5.
3) Ibid. 4, 17, 5.
4) Ibid. 4, 18, 2.
5) Ibid. 4, 18, 3.

الماريولوچى

1) Adversus Haereses, 3, 22, 4.
2) Ibid. 5, 19, 1.
3) Ibid. 4, 33, 11.
4) Ibid. 4, 33, 12.

الكتاب المقدس

1) Adversus Haereses, 3, 1, 1.
2) Ibid. 3, 11, 8.
3) Ibid.
4) Cf. ibid. 1, 9, 2; 3, 1, 1; 3, 3, 4; 3, 10, 1; 3, 10, 6.
5) Ibid. 2, 27, 2.
6) Ibid. 1, 8, 1; 1, 9, 1-4.
7) Ibid. 4, 26, 5; 4, 32, 1; 5, 20, 2.
8) Ibid. 5, 20, 2.
9) Ibid. 2, 27, 1.

الاكلسيولوچى

1) Adversus Haereses, 3, 16, 6.
2) Ibid. 1, 4, 4.
3) Ibid. 3, 4, 1, f.
4) Ibid. 3, Praef. 4-2.
5) Cf. ibid. 3, 2, 2; 3, 4, 1.
6) E.g. ibid. 3, 24, 1.
7) Ibid. 4, 26, 2; cf. 4, 26, 5.
8) Ibid. 1, 10, 1-2.
9) Ibid. 3, Praef. 4-2.
10) Sources Chretiennes, 211, 470-473.
11) Ibid. 100, 70-71.

الفهرس



الكتـــــاب : القديس إيريناؤس (أسقف ليون) .

ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .

النـــاشــــر : كنيسة مارمرقس والبابا بطرس ـ الاسكندرية .

جمع تصويرى : كـويـــن سنـتـر ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية .

المطـــبعـــة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٢/٤٦٢٨م .

I.S.B.N. 977 - 00 - 3413 - 4 .